التركيب ، ومن هنا يرفض الجرجاني أن يكون النظم نظم الألفاظ ؛ لأنه ليس للفظ من حيث هو لفظ مَزِيَّة ، وإنما تكون المزية حين تأتي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلمات [١] .

وعلينا أن نُنبِّه هنا إلى فارق دقيق وضعه عبد القاهر بين الضمّ والتعليق ؛ ذلك أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات ، وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة ، والمض لا يصحّ أن يُرادَ به مجرَّد النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما ؛ لأنه لو جاز أن يكونَ لمجرَّد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثيرٌ في الفصاحة لكان ينبغي إذا قيل (ضحك خرج) أن يحدث من ضمهما فصاحة ، وذلك باطل ، فلم يبق إلا أن يكون المعنى في ضم الكلمة إلى الكلمة توخى معنى من معاني النحو فيما بينهما [٢] .

وطبيعة التركيب تقتضي وضع الكلام على النحو الذي تتعلق فيه اللفظة بغيرها تعلُّقًا نحْويا ، فالمقدرة الفنية للمبدع تتمثل في النظر إلى الوجوه التي تتصل بما يطرأ على الجملة من تغيُّر ؛ لأن هذا التغيُّر يتبعه بالضرورة تغيُّر في الدلالة ، فهناك فروق دقيقة بين قولنا : « زيد منطلق ، وزيد ينطلق ، وينطلق زيد ، وزيد المنطلق ، والمنطلق زيد ، وزيد هو المنطلق ، وزيد هو منطلق . » [٣]

كما تتمثل في النظر إلى خصوصية (الحرف) في أداء المعنى ، نحو أن نجيء بـ (ما) في نفي الحال ، وبـ (لا) في نفي الاستقبال ، وبـ (إن) فيما يترجح بين أن يكون ولا يكون ، وبـ (إذا) فيما عُلِم أنه كائن .

---

(١) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص ٣٦١ . (٢) المرجع السابق ، ص ٣٩٤ ، وقراءة الشيخ شاكر . القاهرة ، الخانجي ، ١٩٨٤ . ص ٣٩٤ . (٣) المرجع السابق ، ص ١١٧ .